

# زَكَرِيَّا وَحَيِّي

عليهما السلام

المهندس  
عبد  
الرفاعي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [ يوسف

: ١١١ ]

.. القصص في القرآن الكريم ، جزء من كتاب الله تعالى الذي نزله جلّ وعلا تبياناً لكلّ شيء ، وتحمل من العبر والأحكام والدلالات ، ما يتناسب مع كون النصوص الحاملة لها قولاً لله تعالى ، يتعلّق بعلمه المطلق ، وبقدرته المطلقة على الصياغة ..  
.. وما نراه في بعض قصص القرآن الكريم ، هو ورود مشاهد من ذات القصة لذات الموقف ( حسب الإدراك الظاهري ) ، في أكثر من نص .. وهنا .. حسب الكثيرون ذلك تكراراً ، وراحوا ينظرون إلى هذه النصوص من هذا المنظار ..

## ﴿ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٢

.. في هذا البحث سنقف عند قصّة زكريا ويحيى عليهما السلام ، لنرى كيف أنّ المشاهد التي يحسبها بعضهم تكراراً ، إنّما هي تصويرٌ للأحداث والمراحل المختلفة في الحالات المختلفة لجوانب القصّة ، وأنّ هذا ليس تكراراً كما يتخيّل الكثيرون ، سواءً ممّن يؤمنون بكتاب الله تعالى ، أم ممّن لا يؤمنون به ..

.. في كتاب الله تعالى ، قصّة زكريا لا تنفك عن قصّة ابنه يحيى عليهما السلام ، وقصّتهما تتعلّق بقصّة مريم وعيسى عليهما السلام ، وذلك كون القصّتين كانتا في العصر ذاته ، وتداخل الأحداث بينهما .. وفي كتاب الله تعالى ترد كلمة ﴿ زَكَرِيَّا ﴾ ( ٧ ) مرّات ، وترد كلمة ﴿ وَيَحْيَىٰ ﴾ ( ٥ ) مرّات ..

.. ولننظر في النصوص الحاملة لقصّة زكريا ويحيى عليهما السلام ، ونرسم المراحل المتتالية لهذه القصّة ، في كلّ سورة من السور الحاملة لها ..  
.. ما نراه في سورة آل عمران ( الحالة الأولى ) ، هو المراحل التالية :

١ - وضع مريم عليها السلام ، ودعاء أمّها لها ، وقبول ربّها جلّ وعلا لها بقبولٍ حسن ، وإنباتها نباتاً حسناً :
﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾
٢ - وقوعها في كفالة زكريا :
﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾
٣ - رؤية زكريا لخرق الناموس المستمر كلّما دخل الخراب على مريم ، عبر إتيانها الرزق ، وسؤاله لمريم عن ذلك ، وإجابتها :

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٣

﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمَحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

٤ - عند هذا الموقف ، نتيجة ما رآه زكريا من خرقٍ للناموس ، دعا الله تعالى أن يخرق له الناموس أيضاً :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾

٥ - فتوجه زكريا إلى الله تعالى ، فطلب ذرية طيبة :

﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۚ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾

٦ - على الفور .. نادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ، بأن الله تعالى يبشّره بيحيى ، وبتبيان أهم صفاته :

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾

٧ - توجه إلى ربه جلّ وعلا مستفسراً عن إتيانه الغلام بأمرين ، الأول بلوغه الكبر ، والثاني أن امرأته عاقر ، وتلقّيه الإجابة على استفساره :

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾

٨ - التوجه إلى ربه جلّ وعلا ، بأن يجعل له آية ، وتلقّيه الردّ على ذلك ، مع الأمر بذكر ربه كثيراً وأن يسبح بالعشيّ والإبكار :

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ وَادُّكُرًا ۚ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٤

٩ - العودة إلى قصّة مريم بتبيان مخاطبة الملائكة لها باصطفائها وتطهيرها وأمرها بالحنوت والسجود والركوع :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰنِكَ وَطَهَّرَكِ وَاَصْطَفٰنِكَ عَلٰٓى نِسَآءِ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٤١﴾ يَمْرِيْمُ اقْنَبِيْ لِرَبِّكِ وَاَسْجُدِيْ وَاَرْكَعِيْ مَعَ الرَّاكِعِيْنَ ﴾

١٠ - العودة إلى كفالة مريم ، والاختصاص في ذلك :

﴿ ذٰلِكَ مِّنْ اَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوْحِيْهِ اِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ يُلْقُوْنَ اَقْلَمَهُمْ اَيْهُمََّا يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ يَخْتَصِمُوْنَ ﴾

١١ - تبشير الملائكة لمريم بعيسى عليه السلام :

﴿ اِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسٰى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيْهًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ ﴿٤٢﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴾

١٢ - استفسار مريم عن كيفية ولادتها دون أن يمسهأ بشر ، وتلقيها الإجابة على ذلك :

﴿ قَالَتِ رَبِّ اَنْىْ يَكُوْنُ لِيْ وِلْدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِيْ بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اَللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ اِذَا قَضٰٓى اَمْرًا فَاِنَّمَآ يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴿٤٣﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْاِنْجِيْلَ ﴾

.. إلى هنا .. تبدأ قصّة عيسى عليه السلام ..

.. ووردت قصّتهما عليهما السلام في سورة مريم .. ولكن .. ابتداءً بقصّتهما ..

فبداية السورة ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ تحمل دلالة على أن هذا النص هو

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٥

ذَكَرُ رَحْمَةً رَبِّ الْمَخَاطَبِ بِهِ ، تِلْكَ الرَّحْمَةُ الَّتِي نَالَتْ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَةَ الَّتِي نَالَهَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَحْمُولَةٌ بِهَذَا النَّصِّ ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَوَاقِفَ الْقِصَصِيَّةَ الْمَحْمُولَةَ بِهَذَا النَّصِّ ( الْحَالَةُ الثَّانِيَّةُ ) تَبْدَأُ مَعَ بَدَايَةِ حُصُولِ زَكَرِيَّا عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى .. بَيْنَمَا فِي النَّصِّ الَّذِي فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ( الْحَالَةُ الْأُولَى ) رَأَيْنَا أَنَّ الْمَوْقِفَ الْأَوَّلَ الْحَمُولَ بِهِ يَبْدَأُ بِرُؤْيَا زَكَرِيَّا لِخُرْقِ النَّامُوسِ لِمَرْيَمَ وَدَعَائِهِ بِأَنْ يَهْبَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً .. وَمَرَاكِلَ الْقِصَّةِ هُنَا ، كَحَالَةِ ثَانِيَةٍ لَهَا اسْتِقْلَالِيَّتُهَا عَنْ حَيْثِيَّاتِ الْحَالَةِ الْأُولَى ، تَبْدَأُ مِنْ حَيْثُ انْتَهَتْ الْمَرِحَلَةُ ( ١٢ ) الَّتِي رَأَيْنَاهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، لِتَبْدَأُ ( الْحَالَةُ الثَّانِيَّةُ ) بِتَصْوِيرِ مَرَاكِلَ مَكْمَلَةٍ لِلْمَرَاكِلِ السَّابِقَةِ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى ..

١٣ - مَنَادَاةَ زَكَرِيَّا لِرَبِّهِ جَلًّا وَعَلَا نِدَاءً خَفِيًّا :

﴿ ذَكَرُ رَحِمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۖ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾

١٤ - حَيْثِيَّاتُ هَذَا النِّدَاءِ الْخَفِيِّ هِيَ شَرْحُ حَالِ زَكَرِيَّا ، وَطَلَبُ وِلْيٍّ لَهُ ، مَعَ ذِكْرِ صِفَاتِ لِهَذَا الْوَلِيِّ :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۗ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۗ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۗ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

١٥ - تَلْقِيَهُ الْبَشْرَى بِالْإِجَابَةِ عَلَى طَلْبِهِ :

﴿ بَلِّغْ زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

١٦ - اسْتَفْسَارُ زَكَرِيَّا عَنِ الْكَيْفِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ سَبَبِيْنِ هُمَا أَنَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ عَاقِرًا ، وَأَنَّهُ بَلَّغَ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا :

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾

١٧ - تلقيه الردّ على استفساره :

﴿ قَالَ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٌ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ

شَيْئًا

١٨ - طلب زكريا آية على ذلك من ربّه جلّ وعلا ، وتلقّيه الإجابة على ذلك :

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا

١٩ - خروجه على قومه من المحراب ، والإيحاء إليهم أن يسبحوا بكرة وعشياً :

﴿ أَخْرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا

.. إلى هنا .. انتهت قصّة زكريا في كونها متعلّقة بقصّة يحيى ..

المرحلة أَل ( ٢٠ ) تبدأ في سورة الأنبياء ..

٢٠ - نداء زكريا لربّه :

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ

٢١ - في ندائه طلب ألا يذره ربّه جلّ وعلا فرداً :

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

٢٢ - استجابة ربّه له بأن وهب له يحيى كمرحلة أولى :

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ

٢٣ - وأصلح له زوجه كمرحلة ثانية ، تشير إلى بداية الحمل بيحيى :

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ

٢٤ - ذكر صفات عائلة زكريا :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَبَدَعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا

خَشَعِينِ ﴿

٢٥ - ذكر نفخ الروح في مريم كطفلة طاهرة أحصنت فرجها فنفخ الله تعالى فيها ( وليس في فرجها ) الروح ( الصلة والمدد والقربى من الله تعالى ) :

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾

.. وإلى هنا .. وُهب يحيى لزكريا ، بمعنى صدر الأمر الإلهي بولادته لاحقاً .. بعد ذلك .. تم إصلاح زوجه .. بعد ذلك تكون ولادته ( الحمل به ) ..  
 .. لتكون المرحلة ( ٢٦ ) في سورة مريم .. حيث الخطاب يتعلّق بيحيى وبشكلٍ مستقلٍّ ، فهذا هو النصُّ الوحيد في كتاب الله تعالى الذي يُخاطَب به يحيى ..

٢٦ - مخاطبة يحيى عليه السلام ، بعد ولادته :

﴿ يٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾

٢٧ - إتيانه الحكم وهو صبي :

﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾

٢٨ - ذكر صفاته ..

﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿٢٨﴾ وَرَأً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿٢٩﴾  
 ﴿ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

.. الآن .. في سورة مريم .. وبعد هذا النصُّ الذي يصوِّر لنا قصَّة مخاطبة يحيى عليه السلام ، ووصفه لنا يحيى بشكلٍ مستقلٍّ عن ولادته كمعجزة أُعطيت لزكريا وامرأته ، نرى العبارة التالية مباشرة هي : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ ﴾ .. وهذه الصيغة لا تقتضي حتمية الترتيب الزمني في ربط ما بعدها بما قبلها .. ففي سورة مريم ذاتها نرى أنَّ القصص

## ﴿ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٨

القرآنية المسبوقة بهذه العبارة : ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ﴾ ، ليست بالترتيب الذي ترد فيه بالنسبة لزمن بعث الرسل عليهم السلام ..

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١١١﴾ ..... وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿١١٢﴾ ..... وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إسماعيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿١١٣﴾ ..... وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إدريسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١١٤﴾ [ مريم : ٤١ - ٥٦ ]

.. وبذلك تكون المرحلة ( ٢٩ ) في سورة مريم :

٢٩ - مرحلة انتباز مريم من أهلها مكاناً شرقياً ، حتى ولادتها ليعسى :  
﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١١٥﴾ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ..... فَحَمَلَتْهُ ..... فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ..... ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾

.. وتكون المرحلة ( ٣٠ ) في سورة الأنبياء :

٣٠ - جعل مريم وابنها آية للعالمين :  
﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

.. من خلال الترتيب الذي رأيناه ، نرى أن الحمل ييحيى حصل قبل الحمل ببعسى ، عليهما السلام ، وهذا نقرؤه في سورة الأنبياء بشكل جلي .. فالعبارة ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُرُ وَوَهَبْنَا لَهُرُ يَحْيَى﴾ ، تصور صدور القرار الإلهي بالعبء لذكريا بأن ييحيى كنفس ( قبل خلق جسده ) سيعطيه الله تعالى لذكريا ، استجابة لدعائه ..... والعبارة التالية لها مباشرة

## ﴿ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٩

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ ، تصوّر لنا إنهاء حالة عقر زوجة زكريا وجعلها صالحة

للإنجاب ، بمعنى : تشير إلى بداية حمل يحيى ..

.. بعد ذلك .. تمّ نفخ الروح في نفس مريم عليها السلام بإعطائها الصلة والمدد

والقربى من الله تعالى ﴿ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرَجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ .. بعد ذلك

.. تمّ حملها ببعسى عليه السلام وولادته ، حيث كان ذلك ( بالنسبة لها وله ) آية للعالمين

: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ..

﴿ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرَجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً

لِلْعَالَمِينَ ﴾ [ الأنبياء : ٩١ ]

.. وسورة آل عمران تشير أيضاً إلى ذلك .. فتبشير الملائكة لزكريا يحيى ، نراه في

المرحلة ( ٦ ) ، وهو يسبق تبشير الملائكة لمريم ببعسى الذي رأيناه في المرحلة ( ١١ ) ..

﴿ ..... أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا ..... ﴾

﴿ ..... ﴾ [ آل عمران : ٣٩ - ٤٥ ]

.. وفي سورة آل عمران نرى البشرى فقط ، فلا ذكر للولادة بالنسبة ليحيى ، وولادة

بعسى عليه السلام تأتي في السياق اللاحق ..

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ .....

﴿ ..... ﴾ [ آل عمران : ٣٩ - ٥٢ ]

﴿ ..... ﴾ [ آل عمران : ٣٩ - ٥٢ ]

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ١٠

.. وفي سورة مريم نرى أنه بعد ذكر يحيى وأن الله تعالى آتاه الحكم صبيًا ، والانتهاؤ من ذكر صفاته ، نرى نصًّا يبدأ بالعبارة : ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ ، والتي كما رأينا لا تقتضي حتمية الترتيب الزمني ..

﴿ يَبْحَثُ فِي الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ..... وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ..... فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ..... ﴾ [ مريم : ١٢ - ٢٣ ]

.. وما نراه في سورة مريم أن حمل مريم بعيسى لم يدم سوى ساعات ، فالعبارات المصوّرة للمراحل من حملة إلى وضعه ، تُبتدأ بفاءات التعقيب المباشر ، وفي هذا إشارة إلى كون حملة سريعاً ، وليس كحمل باقي البشر ..

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَادَّابَهَا ﴾ [ مريم : ٢٢ - ٢٤ ]

.. الفاء في كلمة ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ هي تعقيب على جملة محذوفة ، بتقدير : فُنْفِخَ فِي

فرجها ، فحملته .. وهذا المحذوف له تعلقه في كتاب الله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ

الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ [ التحريم : ١٢ ] .. وفاءات التعقيب

المتتالية [ ] ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ ، ، ﴿ فَانْتَبَدَّتْ ﴾ ، ، ﴿ فَأَجَاءَهَا ﴾ ، ، ﴿ فَادَّابَهَا ﴾ [ ] ،

تدلُّ على أن هذه الأمور حصلت عقب بعضها مباشرة دون فواصل بينها .. وما يؤكِّد

ذلك هو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ

قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [ آل عمران : ٥٩ ] .. فعيسى عليه السلام لم يُخلَق جسده

كأجسادنا من نطفة ، ويحمل يدوم تسعة أشهر .. أبداً .. عيسى عليه السلام ، خُلِقَ

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي (١١)

جسده كَخَلَقَ جسد آدم عليه السلام من تراب دون النطفة والبويضة ، وذلك بكلمة :

﴿ كُنْ ﴾ من الله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ..

وعيسى عليه السلام يَتَمَيَّزُ بجانب ، أن بداية خلقه هي نفخ الروح في فرج أمه مريم ..  
بينما آدم عليه السلام كان نفخ الروح فيه بعد اكتماله إنساناً كاملاً نفساً وجسداً :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا

سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِمْ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ ﴿ الحجر : ٢٨ - ٢٩ ﴾

.. الضمائر في الكلمات [ ﴿ سَوَّيْتُهُمْ ﴾ ، ﴿ فِيهِ ﴾ ، ﴿ لَهُ ﴾ ] ، تعود على

كلمة : ﴿ بَشَرًا ﴾ .. وكلمة ﴿ بَشَرًا ﴾ تعني الإنسان الكامل نفساً وجسداً ..

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلْنَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ [ هود : ٢٧ ]

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [ الإسراء : ٩٣ ]

.. وكلمة ﴿ سَوَّيْتُهُمْ ﴾ ، بمعنى أكملت خلقه بشراً كاملاً ، فتسوية الشيء إتمامه ..

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴿ البقرة : ٢٩ ﴾

﴿ أَكْفَرْتُم بِالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُكُمْ رَجُلًا ﴾ [ الكهف : ٣٧ ]

.. إذا .. آدم عليه السلام ، نُفِخَ فيه من روح الله تعالى بعد أن أصبح بشراً كاملاً ،  
نفساً وجسداً .. بينما عيسى عليه السلام كانت بدايته بنفخ الروح في فرج أمه مريم عليها  
السلام ..

.. وزكريَّا عليه السلام استفادَ ممَّا رآه من حرقٍ للناموس فيما يتعلَّق بطعام مريم ، فدعا

رَبَّهُ جَلًّا وعلا عند الحالة الروحيَّة التي أدرك فيها حرقَ الناموس لمريم عليها السلام ..

ولذلك نرى أنَّ إجابة مريم عليها السلام له : ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [ آل عمران

﴿ زَكَرِيَّا وَحَبِيَّبٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ١٢ ﴾

[ ٣٧ ] ، تتوازن تماماً مع طلبه من ربه جلّ وعلا بأن يجعل له آية بعد أن بُشِّرَ بإجابة دعائه ..

﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [ آل عمران : ٣٧ ] = ٩٠

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ [ آل عمران : ٤١ ] = ٩٠

.. خلاصة القول .. أن الحالة الأولى في توجه زكريا إلى الله تعالى كانت بالدعاء ،

كحالة روحية تملكته عندما رأى حرق الناموس لمريم عليها السلام : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا

زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ .. وتعلق دعاؤه أيضاً بقوله : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ..

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ [ آل عمران : ٣٨ ] = ١٢٥

﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [ آل عمران : ٣٨ ] = ٨٤

$$١١ \times ١٩ = ٢٠٩ = ٨٤ + ١٢٥$$

.. والحالة الثانية كانت أقرب إلى الحالة الحسية ، لكنّها لم تصل إلى مستوى النداء

الكامل ، فكانت نداء خفياً : ﴿ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ

نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ .. والحالة الثالثة كانت نداءً تاماً : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾ ..

﴿ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [ مريم : ٢ -

$$٣٢٠ = [ ٣ ]$$

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾ [ الأنبياء : ٨٩ ] = ١١٧

$$٢٣ \times ١٩ = ٤٣٧ = ١١٧ + ٣٢٠$$

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَبِيءٌ ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ١٣

.. إذا .. في هذه النصوص الكريمة الحاملة لقصة زكريا ويحيى عليهما السلام ، نرى أنه هناك ثلاث حالات يتوجّه فيها زكريّا إلى الله تعالى ، كلُّ حالة منها محمولة في سورة من السور الثلاث المصوّرة لقصّتهما ..

المرحلة ( ٤ )	المرحلة ( ١٣ )	المرحلة ( ٢٠ )
﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾	﴿ قَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾	﴿ قَادَى رَبَّهُ ﴾

.. وفي هذه الحالات ، نرى زكريا عليه السلام يتوجّه إلى الله تعالى من خلال صيغة الربوبية ﴿ رَبَّهُ ﴾ .. فكونه طاعناً في السنّ وكون امرأته عاقراً ، هما أمران يتعلّقان بالأسباب المادّية في عالم الخلق ، وإصلاح هذا الأمر هو بالأسباب التي يسخرها الله تعالى لجميع البشر مؤمنين كانوا أم كافرين .. من هنا نرى مناسبة استخدام صيغة الربوبية ..  
.. فالحالة الأولى ( في سورة آل عمران ) وهي الدعاء ، كانت نتيجة كونه أقرب إلى العالم الروحي الذي يُرفع فيه الغطاء ، وأبعد عن العالم المادّي ، الذي يعيش به كباقي البشر .. فرؤية ما تمّ بخرق الناموس قرّنته من نواميس العالم الروحي ، وهذا الأمر ، مع كونه الموقف الأوّل في هذه القصة ، ناسبه الدعاء ..  
.. في كتاب الله تعالى ، الدعوة هي طلب الحضور ..

﴿ ..... ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [ الروم : ٢٥ ]

.. ويدعو شيئاً ، يُطلب نسبه إلى المدعو إليه ..

﴿ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرِجُ الْجِبَالَ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ [ مريم : ٩٠ - ٩١ ]

.. ويدعو مع الله تعالى شيئاً آخر ، يندبه طالباً نسبه للإلهية ..

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [ القصص : ٨٨ ]

.. ودُعي الله تعالى ، بمعنى : ذكر إلهاً مجيباً للطلب ..

﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾ [ غافر : ١٢ ]

.. والدعاء .. يحمل معنى الرغبة بطلب الاستجابة لموضوع الدعاء ..

﴿ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [ الأعراف : ١٩٤ ]

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ ..... وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ

فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلَمْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [ إبراهيم : ٢٢ ]

﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ [ القصص : ٦٤ ]

.. بينما النداء .. أقرب إلى المخاطبة في الجانب الحسي ..

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ [ آل عمران : ١٩٣ ]

﴿ وَنَادَى نُوحٌ أُمَّتَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا ﴾ [ هود : ٤٢ ]

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٣٧﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [ النازعات : ٢٢ - ٢٤ ]

.. وتنادوا ، خاطب بعضهم بعضاً ، خطاباً حسيّاً ..

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٣٨﴾ أَنْ ائْتُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ ﴾ [ القلم : ٢١ - ٢٢ ]

.. والنادي هو المجلس الذي يتخاطبون فيه مباشرة ..

﴿ وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ [ العنكبوت : ٢٩ ]

.. ولذلك فمناداة ربّ الخلق جلّ وعلا للخلق ، تكون في ساحة العالم الحسيّ ، وهي

من الأعلى إلى الأدنى ، حيث النداء هنا يحمل جانب التنبيه والتذكير ..

﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ﴾ [ الأعراف : ٢٢ ]

﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [ الشعراء : ١٠ ]

﴿ وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ نَجِيًّا ﴾ [ مريم : ٥٢ ]

﴿ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَابَرَاهِمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرَّءْيَاءُ ﴾ [ الصافات : ١٠٤ - ١٠٥ ]

.. فالدعاء أقرب إلى الجانب المعنوي ..

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [ البقرة : ١٨٦ ]

.. والنداء أقرب إلى الجانب الحسي المسموع صوتاً ، وإلى مفهوم الاستغاثة عندما

يكون من الأدنى إلى الأعلى ، حيث النداء هنا يحمل دلالة طلب الحاجة ..

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أْفِضُوا عَلَيْنَا ..... ﴾ [ الأعراف : ٥٠ ]

﴿ وَيُؤْتِي إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الصُّرُورِ ﴾ [ الأنبياء : ٨٣ ]

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعَمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ [ الصافات : ٧٥ ]

.. وكلمة ﴿ نِدَاءٌ ﴾ لم ترد في كتاب الله تعالى إلا مرتين ، في النصّ قيد الدراسة ،

وفي قوله تعالى التالي ..

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ

عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [ البقرة : ١٧١ ]

.. وهنا نرى أنّ الدعاء تقدّم على النداء ﴿ دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ ﴾ ، وأخذ الجانب الأقرب

للحالة المعنويّة ، تاركاً الجانب الحسي في المخاطبة للنداء ..

.. من كلّ ما سبق .. نرى الحكمة في تدرّج توجهه زكريا عليه السلام إلى ربه جلّ

وعلا ، من الدعاء في الحالة الأولى ، إلى النداء الخفي في الحالة الثانية ، إلى النداء في الحالة

الثالثة ..

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَمِيٍّ ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ١٦

المرحلة ( ٢٠ )	المرحلة ( ١٣ )	المرحلة ( ٤ )
﴿ نَادَى رَبَّهُ ﴾	﴿ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾	﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾

.. وفي موضوع النداء نرى تدرّجاً أيضاً ما بين هذه الحالات ..

المرحلة ( ٢٠ )	المرحلة ( ١٣ )	المرحلة ( ٦ )
﴿ نَادَى رَبَّهُ ﴾	﴿ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾	﴿ فَكَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾

.. فمن مناداة الملائكة له في الحالة الأولى ، إلى مناداته هو لربه جلّ وعلا نداءً خفياً في الحالة الثانية ، إلى مناداته هو لربه نداءً تاماً في الحالة الثالثة ، نرى تدرّجاً واضحاً في تصعيد النداء ، ضمن إطار توجّهه إلى الله تعالى ..

.. وما نراه في إطار هذا التدرّج ما بين هذه الحالات ، أنّه في التصوير القرآني ، نرى فصل الدعاء عن مقولته بكلمة ﴿ قَالَ ﴾ في الحالة الأولى ، وأيضاً نرى فصل النداء الخفي عن مقولته بكلمة ﴿ قَالَ ﴾ في الحالة الثانية ، ولا نرى هذا الفصل بكلمة ﴿ قَالَ ﴾ في الحالة الثالثة ..

المرحلة ( ٢١ )	المرحلة ( ١٤ )	المرحلة ( ٥ )
﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ..... ﴾	﴿ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً ﴾	﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾
﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾	﴿ خَفِيًّا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ﴾	﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي ﴾

.. وهذا التصعيد في التوجّه إلى الله تعالى ، قابله هبوط في ماهية الطلب ، ما بين هذه الحالات ..

المرحلة ( ٢١ )	المرحلة ( ١٤ )	المرحلة ( ٥ )
﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾	﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ﴾	﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ ﴾
﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾	﴿ وَلِيًّا ﴾	﴿ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ١٧

.. ففي الحالة الأولى ( الدعاء ) طلب ذرية طيبة من لدن الله تعالى ، والذرية ليس بمجرد الولد ، وإنما أيضاً تحمل معنى استمرار النسل لما بعد الولد ..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِمْهُمْ مُهْتَدٍ

وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [ الحديد : ٢٦ ]

.. وفي الحالة الثانية ( النداء الخفي ) هبط في طلبه من الذرية إلى الولي .. والولي مسألة لا تُشترط فيها الذرية ..

﴿ ..... أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ [ البقرة : ٢٨٢ ]

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [ التوبة : ٧١ ]

.. وفي الحالة الثالثة ( النداء ) هبط من طلب الولي إلى ألا يبقى فرداً .. فما طلبه هو ما يشدُّ عضده ، ويخرجه من وحدانيته ..

.. وفي الحالة الثانية ( النداء الخفي ) ، حيث المرحلة ( ١٤ ) ، نرى استرسالاً في وصف حاله ، لا نجده في الحالتين الأولى ( الدعاء ) والثالثة ( النداء ) ..

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ

شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾

.. في ندائه الخفي ( الحالة الوسطى ) ، نرى وصفاً لثلاثة أمور ..

﴿ وَإِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾	﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾	﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾
﴿ مِنِّي ﴾	﴿ شَيْبًا ﴾	﴿ شَقِيًّا ﴾

.. منها أمران يتعلقان بهمته وبنيته الجسدية : ﴿ وَإِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ

﴿ شَيْبًا ﴾ ، وهما أمران يتعلقان بالوهن والضعف والفتور ، وبالشيخوخة .. والأمر الثالث :

﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيْبًا ﴾ ، يعني : ولم تردني قط بدعاء دعوتك به ، ولم أعهد منك إلا الإجابة ..

وما نراه أنه لم يقل ( ربّ وهنت عظامي ) ، إنما يقول : ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ ، فكلمة : ﴿ إِنِّي ﴾ تفيد التأكيد والإصرار والقوّة في الوصف ، وكلمة : ﴿ الْعَظْمُ ﴾ هي مصدر من الجذر ( ع ، ظ ، م ) ، ودلالات هذا الجذر تفيد الشدّة والصلابة والقساوة ، وفي كتاب الله تعالى عظام الإنسان المعروفة التي تكوّن هيكله العظمي تسمّى عظاماً ، وكذلك عظام الحيوان ..

﴿ ..... وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ [ البقرة : ٢٥٩ ]  
﴿ ..... فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ..... ﴾ [ المؤمنون : ١٤ ]  
﴿ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَلَّنْ يَجْمَعُ عِظَامَهُ ﴾ [ القيامة : ٣ ]

.. وكلمة ﴿ الْعَظْمُ ﴾ ترد مرتّين في كتاب الله تعالى هما في نداء زكريا عليه السلام الذي نحن بصدد دراسته ، وفي قوله تعالى ..

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَائِيَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبِعْتِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [ الأنعام : ١٤٦ ]

.. فكون كلمة ( عظم ) هي مصدر الجذر ( ع ، ظ ، م ) ، فهي تعني ( إضافة للعظام ) كلّ صلب وقاسٍ وشديدٍ في الجسم ، بمعنى تحمل دلالةً أكثر اتّساعاً من العظام .. من هنا نرى ورود كلمة : ﴿ الْعَظْمُ ﴾ في دعاء زكريا عليه السلام ، لتشمل ( إضافة

للعظام ) كلٌّ شديدٍ وصلبٍ وقاسٍ في جسمه ، وتأني كلمة : ﴿ مِئِّي ﴾ تأكيداً في بيان حاله : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ ..

.. فنداء زكريا الخفي ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ يعني وصفاً لوهينٍ وضعفٍ وخَوْرٍ في كلِّ ما هو صلب فيه ، سواء عظامه وأعصابه وهمته وإقدامه ومتابعته لما يتوجَّب عليه القيام به ..

.. والوصف الثاني لحالته هو : ﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ .. وما نراه أن كلمة :

﴿ وَأَشْتَعَلَ ﴾ هي المشتق الوحيد للجذر ( ش ، ع ، ل ) في كتاب الله تعالى .. والجذر ( ش ، ي ، ب ) له في كتاب الله تعالى ثلاثة فروع ، كلمة : ﴿ شَيْبًا ﴾ في هذا النص إضافة للفرعين ..

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخُذُ مَا يَشَاءُ ﴾ [ الروم : ٥٤ ]

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [ المزمل : ١٧ ]

.. فالعبارة القرآنية ﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ تبين حاله بأنَّه بلغ من الكِبَر مرحلة متقدِّمة ..

.. والأمر الثالث هو : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ .. والتي تعني - كما

بيَّنا - ولم تردني قط بدعاء دعوتك به ، ولم أعهد منك إلا الإجابة ..

.. إذا .. في المرحلة ( ١٤ ) من الحالة الثانية ( الوسطى ) ، نحن أمام ثلاثة أمور مسبوقة بكلمة ﴿ إِنِّي ﴾ .. ﴿ رَبِّ إِنِّي ﴾ ، وهذه الأمور هي :

﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾

﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾

﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾

.. والعبارة : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ بالتأكيد تشمل كل دعاء سابق له

.. ولكن .. هل لها تعلق بدعائه في الحالة الأولى في سورة آل عمران : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا

زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ ؟ ..

.. بعد هذا الوصف لهذه الأمور .. تأتي الآية التالية مباشرة ، مبتدأة بكلمة : ﴿ وَإِنِّي ﴾

، وحاملة لثلاثة أمور أيضاً .. ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا

فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ ..

﴿ خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾	﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾	﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾
		﴿ وَرَائِي ﴾

.. إذا .. كلمة : ﴿ وَإِنِّي ﴾ تفصل الأمور الثلاثة التالية لها ( في هذه الآية الكريمة ) ،

عن الأمور الثلاثة السابقة لها في الآية السابقة .. ونرى تقابلاً بين العناصر الثلاث قبل

كلمة : ﴿ وَإِنِّي ﴾ والعناصر الثلاث بعدها ..

﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾	﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾
﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾	﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾
﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾	﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٢١

.. العبارة : ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ تقابل العبارة : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ

وَرَأْيِي ﴾ .. ومن هنا نرى عظمة الصياغة القرآنية ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ بورود

كلمة ﴿ الْعَظْمُ ﴾ كما بيّنا .. فكونه وهنت عظامه وفترت همته وخارت قواه ، أدى إلى

أنه خاف على الرسالة من الموالى من ورائه ، من أن يغيروا ويحرفوا من بعده ..

والعبارة ﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ تقابل العبارة ﴿ وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ ..

فالكبير عنده يقابله أن امرأته كانت عاقراً .. كون الإنجاب من طرفين ، وبهذه المقابلة ذكر

الطرفين ..

والعبارة ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ تقابل العبارة ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

وَلِيًّا ﴾ .. فطلب الولي وإجابة ذلك ، يتعلّق بالدعاء المحاب ..

.. بعد ذلك .. ومن خلال هذا الاسترسال .. تأتي الآية التالية مباشرة لتصف الهدف

من هذا الولي ، وذلك بذكر ثلاثة أهداف ..

﴿ بَرِّئْتُ ﴾	﴿ وَبَرِّئْتُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾	﴿ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾
---------------	------------------------------------	---------------------------------

.. الهدف الأوّل هو ﴿ بَرِّئْتُ ﴾ ، ويتعلّق بزكريا عليه السلام كفرد ..

.. والهدف الثاني هو ﴿ وَبَرِّئْتُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ ، ويتعلّق بالمنهج الذي يحمله آل

يعقوب كأمة ..

والهدف الثالث هو ﴿ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ ، ويتعلّق بكينونة الولي الذي طلبه زكريا

عليه السلام ..

.. ونرى تدرّجاً واضحاً في الصيغ التالية ( كتوجّه مباشر إلى الله تعالى في طلب

الوريث ) ، ما بين هذه الحالات ..

المرحلة ( ٢١ )	المرحلة ( ١٤ )	المرحلة ( ٥ )
﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾	﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾	﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾

.. فالصيغة : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ، هي صيغة اسمية تتعلق بالله تعالى ، ومخاطبة الله تعالى بهذه الصيغة ، أبعد - في موضوع التودد بطلب الوريث والتعلق به - من الصيغتين في الحالتين الثانية والثالثة .. والصيغة : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ ، أقرب من الصيغة الأولى بالتودد في طلب الوريث والتعلق به .. وتأتي الصيغة الأخيرة : ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ متعلقة بمسألة الوريث تعلقاً كاملاً ..

وما بين الحالات الثلاث ، نرى تدرجاً في صيغة الردّ على طلب زكريا عليه السلام ..

المرحلة ( ٢٢ )	المرحلة ( ١٥ )	المرحلة ( ٦ )
﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾	﴿ يٰزَكَرِيَّا ﴾	﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ ﴾

.. مناداة الملائكة لزكريا عليه السلام ، في الحالة الأولى ، كانت نقلاً لبشرى من الله تعالى إليه : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ .. فالبشرى من الله تعالى ، ولكنها منقولة عبر مناداة الملائكة لزكريا .. بينما .. البشرى في الحالة الثانية ، نراها أكثر مباشرة : ﴿ يٰزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾ .. وفي الحالة الثالثة ، نرى وقوع الاستجابة : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ﴾ ..

.. وصيغة البشرى أيضاً تتصاعد من المرحلة الأولى إلى الثالثة ..

المرحلة ( ٢٢ )	المرحلة ( ١٥ )	المرحلة ( ٦ )
﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾	﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾	﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٢٣

.. فالتدرج الذي رأيناه في طلب زكريا من الله تعالى ، ابتداءً بالدعاء كحالة أقرب إلى الجانب المعنوي كما بينا ، فالنداء الخفي ، فالنداء .. نراه ينعكس في الموقف الذي تلقى به زكريا البشرى ..

.. ونرى أن الحوار بين زكريا ومريم كان في المحراب : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .. ودعاء زكريا كان أيضاً في المحراب : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ، فقد كان أثناء صلاته في المحراب ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ ، فالفاء في كلمة ﴿ فَنَادَتْهُ ﴾ تبين لنا أن نداء الملائكة كان مباشرة فور انتهاء زكريا من دعائه ، وبالتالي فدعاؤه كان أثناء صلاته في المحراب .. هذا كله في الحالة الأولى .. وفي الحالة الثانية أيضاً كان في المحراب حيث خرج منه وأوحى إلى قومه أن يسبّحوا بكرة وعشياً ..

المرحلة ( ١٩ )	المرحلة ( ٦ )	المرحلة ( ٣ )
﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾	﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾	﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾

.. وكون زكريا ( في الحالة الأولى ) طلب في دعائه ذرية طيبة بشكل صريح : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ، نرى أن البشرى لم تشمل على كلمة غلام ، فدعاء زكريا بطلب الذرية يؤكد أن يجي عليه السلام هو غلام لزكريا ، لذلك نرى عدم ورود كلمة ( غلام ) في البشرى التي تلقاها في الحالة الأولى .. بينما

## ﴿ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٢٤

نرى في سورة مريم أنه وردت كلمة غلام .. ونرى في سورة الأنبياء وهبة يحيى لزكريا ، وبالتأكيد كغلام له ، بدليل إصلاح زوجه كإشارة لكونه ابنه ..

المرحلة ( ٦ )	المرحلة ( ١٥ )	المرحلة ( ٢٣ )
﴿ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾	﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ﴾	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ﴾
	﴿ أَسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾	﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾

.. والتبشير بيحيى عليه السلام ما بين الحالتين الأولى والثانية ، مسألة كاملة ..

$$110 = [ \text{آل عمران : ٣٩} ] \text{ ﴿ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾}$$

$$106 = [ \text{مريم : ٧} ] \text{ ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ أَسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾}$$

$$14 \times 19 = 266 = 106 + 110$$

.. وذكر صفات يحيى عليه السلام ، عبر البشرى التي تلقاها زكريا عليه السلام ، تتعلق بمهية هذه الحالات ..

المرحلة ( ٦ )	المرحلة ( ١٥ )	المرحلة ( ٢٤ )
﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾	﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي ﴾
﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الْأَصْلِحِينَ ﴾		﴿ الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾

.. في الحالة الأولى ، حيث الجانب المعنوي ، كما بينا ، والحالة الروحية نتيجة رؤية

حرق الناموس ، ذكرت صفاته بالتفصيل .. فالعبارة ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ حال

من يحيى عليه السلام ، فهو مُصَحِّح ( مبيِّن للصدق من الكذب ) لما حرّفه قومه وذلك بمدد من الله تعالى ، والعبارة التالية معطوفة عليها ، بمعنى : ومعلماً ومسؤولاً وإماماً

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٢٥

قائداً في المنهج ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ ، ومنوعاً على الشهوات ﴿ وَحَصُورًا ﴾ ، وفوق ذلك :  
﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ..

.. وفي الحالة الثانية ، أُجملت صفاته بالعبارة : ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ ..

وفي الحالة الثالثة ذُكر كفرادٍ من آل زكريا الموصوفين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا

يُسرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَدِيعِينَ ﴾ ..

.. وفي الحالة الأولى وصف زكريا الذرية التي طلبها بصفة واحدة هي : ﴿ طَيِّبَةً ﴾ ..

وكان الردُّ على ذلك بصفات كلُّها تتعلَّق بهذه الصفة ..

المرحلة ( ٦ )	المرحلة ( ٥ )
﴿ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرَكَ بِحَيِّي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾	﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [ آل عمران : ٣٨ ] = ١٦٥

﴿ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرَكَ بِحَيِّي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ

الصَّالِحِينَ ﴾ [ آل عمران : ٣٩ ] = ٤٠٥

$$٣٠ \times ١٩ = ٥٧٠ = ٤٠٥ + ١٦٥$$

.. وكنا قد رأينا أنَّ زكريا عليه السلام ، في الحالة الثانية ، ذكر ثلاثة أهداف للولي

الذي طلبه ..

﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾	﴿ وَيَرِثْ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾	﴿ بَرِيًّا ﴾
--------------------------------	-----------------------------------	--------------

.. وتأتي إجابة الله تعالى له مباشرة بالرد على هذه الأهداف الثلاثة بالترتيب ..

﴿ يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ أَصْمُهُ سَحِيحٌ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ ..

﴿ يَرِيئِي ﴾	﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ﴾
﴿ وَبِرْثٍ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾	﴿ أَصْمُهُ سَحِيحٌ ﴾
﴿ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾	﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

.. الهدف الأول من طلب زكريا للغلام وهو : ﴿ يَرِيئِي ﴾ ، ردَّ الله تعالى عليه :

﴿ يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ﴾ .. فوراً زكريا عليه السلام كفرد ﴿ يَرِيئِي ﴾ ، تقتضي

أن يكون له غلام خاص به كفرد ﴿ يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ﴾ ..

.. والهدف الثاني من طلب زكريا للغلام وهو : ﴿ وَبِرْثٍ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ ، ردَّ الله

تعالى عليه : ﴿ أَصْمُهُ سَحِيحٌ ﴾ .. فوراً آل يعقوب بما تعنيه من حمل للمنهج المحمول عبر

أنبياء آل يعقوب ، وذلك من يعقوب إلى يحيى عليهما السلام ، تقتضي حياةً روحيةً تُوهل

الوارث لذلك .. من هنا ندرك جانباً من معنى العبارة ﴿ أَصْمُهُ سَحِيحٌ ﴾ بما تعنيه من حياة

روحيةً تتعلق بالمنهج ..

.. والهدف الثالث من طلب زكريا للغلام وهو ﴿ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ ردَّ الله تعالى

عليه ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ .. فجعل هذا الغلام رضيًّا يتعلّق بانفراده بأنّه لم

يجعل الله تعالى له من قبل شبيهاً ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ .. فهناك مقابلة بين

كلمة ﴿ وَأَجْعَلُهُ ﴾ في طلب زكريا ، وبين كلمة ﴿ نَجْعَلْ ﴾ في الإجابة ..

.. وزكريا عليه السلام .. سواءً في الحالة الأولى ، أم الثانية ، بعد تلقيه للبشرى ، استفسر عن الكيفية .. لكن بفارق يتبع لماهية كل من هاتين الحالتين ..

المرحلة ( ١٦ )	المرحلة ( ٧ )
﴿ قَالَ رَبِّ اِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ اَمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾	﴿ قَالَ رَبِّ اِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَاَمْرَاتِي عَاقِرٌ ﴾

.. مع أن زكريا عليه السلام هو مَنْ طلب الذرية بعد رؤيته لخرق الناموس لمريم عليها السلام ، في الحالة الأولى ، وهو من طلب الولي في الحالة الثانية .. على الرغم من ذلك .. وفي الحالتين ، يبدأ استفساره ، متوجّهاً إلى ربّه جلّ وعلا ، وليس إلى الملائكة ، ذاكراً كلمة : ﴿ غُلَامٌ ﴾ : ﴿ قَالَ رَبِّ اِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ ... وما يستفسر عنه في الحالتين ، هو معرفة الكيفية : ﴿ اِنِّي ﴾ ، ومن خلال أمرين ، هما حاله وحال امرأته .. لكن .. الاستفسار عن هذه الكيفية يختلف ما بين هاتين الحالتين ، اختلافاً يعود للفارق بينهما .. .. في الحالة الأولى قدّم بلوغه الكبر على كون امرأته عاقراً ، كون الزمن يمرُّ عليه وإمكانية إنجابة تتناقض مع الزمن ، من هنا جعل الكبر فاعلاً ومن نفسه مفعولاً به : ﴿ بَلَغَنِي الْكِبَرُ ﴾ ، فالكبر بلغه بلوغاً مستمراً ، كون الزمن لا يتوقف .. بمعنى : دخلت في مرحلة الكبر التي لا تُساعد على الإنجاب ..

.. وجعل امرأته مبتدأً والعقر خبراً لها ﴿ وَاَمْرَاتِي عَاقِرٌ ﴾ .. فامرأته تُذكر للمرّة الأولى ، وبما أنّها بطبيعتها عاقر ، فهذا سببٌ يدعو للاستفسار عن كيفية حملها بغلام ..

.. بينما في الحالة الثانية .. نرى أنّه في استرساله ذكر عقر امرأته : ﴿ وَكَانَتْ اَمْرَاتِي عَاقِرًا ﴾ ، وأشار إلى كبره بالعبارة ﴿ وَاَشْتَعَلَ الرَّاسُ شَيْبًا ﴾ ، إضافة لما تحمله العبارة :

﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ ، وذلك قبل استفساره عن كيفية إنجاب امرأته له بسلام ..

فما نراه أنّه في الحالة الثانية كرّر ذات العبارة التي مهّد بها لطلب الولي ، وهي قوله :

﴿ وَكَانَتْ أَمْرًا عَاقِرًا ﴾ ، وأنّه قدّم كون امرأته عاقراً على كونه بلغ من الكبر عتياً ..

﴿ وَكَانَتْ أَمْرًا عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا ﴾ ..

.. فكون امرأته عاقراً يجعل من ولادة الغلام أمراً أكثر استغراباً من كونه كبيراً في

السن .. بينما في سورة آل عمران - كما رأينا - فعل العكس ، فقدّم كونه كبيراً في

السنّ على عقر امرأته : ﴿ بَلَغَنِ الْكِبَرُ وَأَمْرًا عَاقِرًا ﴾ ..

.. ففي حين جعل - في سورة آل عمران - الكبر فاعلاً ، ومن نفسه مفعولاً به :

﴿ بَلَغَنِ الْكِبَرُ ﴾ ، وجعل امرأته مبتدأ ، والعقر خبراً لها : ﴿ بَلَغَنِ الْكِبَرُ وَأَمْرًا عَاقِرًا ﴾ ..

نرى في سورة مريم ﴿ وَكَانَتْ أَمْرًا عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا ﴾

أنّه جعل امرأته اسماً للفعل الناقص ( كان ) ، وجعل العقر خبراً للفعل ( كان ) ، بمعنى

استخدم صيغة الكينونة ( كان ) لوصف عقر امرأته .. فبهذه الصيغة ﴿ وَكَانَتْ أَمْرًا عَاقِرًا ﴾

﴿ عَاقِرًا ﴾ في سورة مريم ، جمع عقر امرأته مع كبرها .. بينما في سورة آل عمران وصفها

بالعاقرة فقط ﴿ وَأَمْرًا عَاقِرًا ﴾ .. والعبارة ﴿ وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا ﴾ في سورة

مريم تفيد وصفاً لكبره - كمرحلة من العمر - أعلى من وصفه في الحالة الأولى بالعبارة :

﴿ بَلَغَنِ الْكِبَرُ ﴾ ..

.. العبارة ﴿ بَلَغَنِ الْكِبَرُ ﴾ في الحالة الأولى ، تعني جاء الكبر إلي ، فالجسد بدأ

يتراجع ، ولكنّ هذا لا ينفي أنّ النفس مازال بها شيءٌ من الهمة .. بينما العبارة : ﴿ وَقَدْ

﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عليهما السلام ..... المهندس عدنان الرفاعي ٢٩

﴿ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ في سورة مريم ، تعني أنه إضافة لتراجع الجسد ، فإنَّ الهمة في نفسه بدأت تستسلم لهذا التراجع ، وهذه الصيغة وصف أعلى من الوصف الوارد في الحالة الأولى ..

.. فكون الحالة الثانية - كما بينا - أقرب إلى الجانب الحسي المادي ، فمن الطبيعي في سؤاله عن الكيفية أن يقدم عقر امرأته على كونه كبيراً ، وأن يصف ذلك بمبالغة أكبر من عرض حالته في الحالة الأولى ﴿ وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ..  
.. وفي موضوع امرأته ، نرى - من زاوية التودد إلى الله تعالى - تدرجاً أيضاً ..

المرحلة ( ٧ )	المرحلة ( ١٦ )	المرحلة ( ٢٣ )
﴿ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾	﴿ وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾	﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُرًا ﴾

.. فكما قلنا .. العبارة ﴿ وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ أبلغ في وصف امرأته كبعد عن الإنجاب من العبارة ﴿ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ ، وبالتالي أكثر تودداً في الطلب .. وما نراه أن العبارة ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُرًا ﴾ ، فيها صفة الزوجية التي تعني التناظر بينهما ، وهو هنا في موضوع الإنجاب ، ففي الحالة الثالثة أصبحت صالحة للإنجاب ، وانتهى عقرها ، وحصل زكريا على مراده ..

.. وفي الرد على استفسار زكريا ، نرى إنعكاساً للحالتين الأولى والثانية ..

المرحلة ( ٧ )	المرحلة ( ١٧ )
﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾	﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾
	﴿ وَقَدْ خَلَقْتُنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٣٠

.. في الحالة الأولى حيث - كما بينا - القرب إلى الجانب المعنوي ، نرى صيغة الإلهية : ﴿ اللَّهُ ﴾ وليس الربوبية : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ .. وفي إجابة الملك لذكريا عن تعجبه نرى نقلاً مباشراً من الله تعالى ، دون ذكر عبارة ( قال الله ) : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ، فكلمة ﴿ قَالَ ﴾ تعود للملك ..

.. وعلى خلاف الحالة الثانية ، لا نرى توضيحاً : ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ، كون زكريا عليه السلام كان في الحالة الأولى أقرب للجانب المعنوي ، ولم يسترسل الاسترسال الذي نراه في الحالة الثانية .. ونرى ورود صيغة غير مباشرة من الله تعالى ، فالتكلم بهذا الرد ﴿ قَالَ ﴾ هو ملك يتكلم عن الله تعالى ..

.. بينما في الحالة الثانية نرى صيغة الربوبية : ﴿ رَبُّكَ ﴾ : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾ .. ونرى أنّ كلمة : ﴿ قَالَ ﴾ الأولى تعود إلى الملك في إجابته لذكريا عليه السلام ، فمقولة العبارة ﴿ قَالَ رَبُّكَ ﴾ ، تصوّر محتوى القول الذي ينقله الملك عن الله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا وَعَشِيًّا ﴾ .. وهذه الصياغة في قصّة زكريا ، مشابهة لصياغة أخرى في ذات السورة ، ولكن في قصّة مريم :

﴿ قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَلَتَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [ مريم : ٢٠ - ٢١ ]

.. وفي الحالة الثانية ، حيث استرسل زكريا ، ومن خلال نداء خفيّ أقرب إلى عالم الحسّ الظاهري ، نرى توضيحاً في الإجابة : ﴿ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَبِيَّبٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ﴾ ٣١

تَكُ شَيْئًا وَعَشِيًّا .. فكون زكريا عليه السلام أوجده الله تعالى في عالم الحسّ ، دون وجودٍ سابق ، حيث يدرك زكريا ذلك ، دليل على أنّ ما دون ذلك ، يجعله وزوجته قادرين على الإنجاب ، أمرٌ هينٌ على الله تعالى ..

.. إذاً زكريا عليه السلام كان يتلقّى الإجابة من الله تعالى عن طريق الملك ، وهذا ما

نقروه بورد صيغة الجمع في العبارات : ﴿ يَزَكِّرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلْمٍ أَهْمُهُ بِسَبْحِي لَمْ

يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ .. فصيغة الجمع هنا تفيد نقل الأمر الإلهي عبر واسطة هي

الملائكة ..

.. وفي الحالتين الأولى والثانية ، نرى الصيغة ذاتها في طلب آية من الله تعالى : ﴿ قَالَ

رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ ..

المرحلة ( ١٨ )	المرحلة ( ٨ )
﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾	﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾

.. قول زكريا عليه السلام في الحالة الأولى : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ ، المطابق

تماماً لقوله في الحالة الثانية : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ ، يعني معجزة ودليلاً من الله

تعالى ، بمعنى أنّه طلب فعلاً من الله تعالى كمعجزة وإشارة ودليل على هذه البشرية ،

فكلمة : ﴿ اجْعَلْ ﴾ تعني طلباً لفعلٍ فاعله الله تعالى ، وليس عملاً فاعله زكريا عليه

السلام ..

.. وهذا الفعل الذي طلبه زكريا ، ماهيته هي الجعل وليس الإتيان ، بمعنى : حوّل لي

ما يكون لي آية .. فهو لم يقل آتي بآية ، إنّما يقول : ﴿ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ .. ولذلك ..

كانت الإجابة متطابقة تماماً مع طلبه ..

.. والرّد على طلب جعل آية لزكريّا عليه السلام ، يختلف ما بين الحالتين الأولى

والثانية ..

المرحلة ( ١٨ )	المرحلة ( ٨ )
﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾	﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾

.. فأية عدم تكليم زكريّا للناس : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴾ ، هو فعل

جعله الله تعالى وفرضه عليه ، بمعنى أنّه لا يستطيع تكليمهم ، وليس بمعنى أنّ الله تعالى

طلب منه ألاّ يكلمهم ، وهو فعل مطابق تماماً لطلب زكريّا ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾

حيث الآية جعلها الله تعالى فيه ، بحيث لا يستطيع أن يتكلم في الفترة المبيّنة ..

.. وفي العبارة ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ ، نرى استثناء

الرمز من الكلام : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ ، وذلك كون الكلام يشمل المعنى ، وهذا المعنى يمكن

إيصاله بالرمز دون اللفظ عن طريق الفهم .. فكما رأينا .. زكريّا جعلت الآية له بأنّه لا

يستطيع الكلام ، بمعنى لا يستطيع لفظ الكلام خلال هذه الأيام ، وبالتالي كانت آية

التواصل فيها بالنسبة له ، هي الإيحاء بالرمز ..

.. وهنا .. لماذا في الحالة الأولى كان زمن هذه الآية هو : ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ ، وفي الحالة

الثانية كان زمن هذه الآية هو : ﴿ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ ؟ ..

.. في كتاب الله تعالى عندما تُقابل الليالي بالأيام في ذات النصّ وذات السياق ، فإنّ

الأيام تعني جمعاً لما يقابل الليل ، وبالتالي جمعاً للنهار ..

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَهْرًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّمِيرَ

سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا ءَامِينَ ﴾ [سبأ: ١٨]

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ

أَعْجَازُ مَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧]

.. وهنا .. نرى أنه ما بين هاتين الحالتين ( الأولى والثانية ) ، كموضوع واحد هو

ذاته ، تمت مقابلة ما بين : ﴿ أَيَّامٍ ﴾ في الحالة الأولى و : ﴿ لَيَالٍ ﴾ في الحالة الثانية ..

.. من هنا نرى أن الحالة الأولى حيث كان زكريا في المحراب قائماً يصلي فيه ، تتعلق

بالنهار .. وابتداء الآية التي لا يكلم فيها زكريا الناس هو من ذلك الوقت ( باعتبار النهار

كمعيار لحساب الزمن ) ، ليستمر ثلاثة أيام ..... لذلك جاءت العبارة في الحالة الأولى :

﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ ..

.. والحالة الثانية ، كانت في الليل ، ومن هنا فإن ابتداء الآية التي لا يكلم فيها زكريا

الناس هو من ذلك الوقت ( باعتبار الليل كمعيار لحساب الزمن ) ليستمر ثلاث ليالٍ

سويًا .. لذلك جاءت العبارة في الحالة الثانية : ﴿ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ ، بمعنى ثلاث ليالٍ

تأمّات متتاليات .. أي : ثلاث ليالٍ كاملات دون انقطاع تشمل ما بينها من النهار ،

لتكون النتيجة في النهاية : ثلاثة أيام ..

.. وما بين تلقي زكريا للقول : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا

وَأَذُكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ في الحالة الأولى ، حيث هذه العبارة

هي آخر قصّة زكريا ويحيى في سورة آل عمران ، وبين تلقّيه للقول : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا

تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ ، في الحالة الثانية ، حيث بعدها مباشرة ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ

قَوْمِهِ مِنَ الْمَحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿ ﴾ ، لم يرَ زكريا أحداً من البشر .. بل منذ دخوله المحراب وفي جميع المراحل المتعلقة بحيثيات القصة لمرحلة خروجه من المحراب ، لم يرَ أحداً من البشر .. فزكريا عليه السلام دخل المحراب نهاراً ، ولم يخرج منه إلا في الليل ..

.. والمراحل التي رأيناها ما بين تلقّيه هذين القولين ، لم تكن تكليماً للناس .. من هنا نرى دلالة كلمة ﴿ النَّاسِ ﴾ في العبارة : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴾ .. فالمعجزة التي جعلت له هي عدم قدرته على تكليم الناس .. بينما .. نداؤه الخفي لربه جلّ وعلا ، وكلُّ المراحل التي رأيناها في سورة مريم حتى خروجه على قومه من المحراب ، لم تكن مع الناس ..

.. والعبارة القرآنية : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ ، في الحالة الثانية الأقرب لحالة الحسّ كما بيّنا ، تتعلّق بالحقيقة التي من أجلها طلب زكريا عليه السلام الولي ، حيث بيّن زكريا عليه السلام الهدف والوظيفة من هذا الولي الذي يطلبه بعينه : ﴿ يَرْتَضِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ ..

.. فدلالات العبارة : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ ، تتعلّق

- في العمق الظاهر - بالماهية والوظيفة والهدف الذي من أجله طلب الولي : ﴿ يَرْتَضِي

وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ .. من هنا نرى أنّ كلّ نصٍّ من هذين

النصّين مكوّن من ( ٣٠ ) حرفاً ، بما يطابق عمر يحيى عليه السلام :

﴿ يَرْتَضِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [ مريم : ٦ ] = ٣٠ حرفاً

﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [ مريم : ١٠ ] = ٣٠ حرفاً

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٣٥

.. بينما في سورة آل عمران ( الحالة الأولى ) تتعلّق دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ قَالَ

ءَايَتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ بالعبارات السابقة كإطارٍ عامٍّ تُذكر فيه

الذريّة ، ولم يُذكر فيه وليٌّ له ماهيّة ووظيفة وهدف ، كما هو الحال في سورة مريم ( الحالة الثانية ) ..

.. في سورة آل عمران ( الحالة الأولى ) ، يقول زكريا عليه السلام : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي

مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ ، ولم يذكر الهدف من طلبه والمتعلّق بحقيقة وظيفته بعد مجيئه

.. وصفات يجيى عليه السلام جاءت في الحالة الأولى من خلال البشرى التي تلقّاها زكريا

عليه السلام : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ

الصَّالِحِينَ ﴾ ..

.. ولذلك .. يكمن يجيى عليه السلام ( في الحالة الأولى ) في عمق باطنٍ أعمق من بُعد

مجموع الحروف المرسومة ، ويتعلّق ما بين طلب زكريا للذرية : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن

لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ ، وما بين صفات يجيى عليه السلام في البشرى التي تلقّاها زكريا

عليه السلام : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ

الصَّالِحِينَ ﴾ ..

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [ آل عمران : ٣٨ ] = ١٦٥

﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ

الصَّالِحِينَ ﴾ [ آل عمران : ٣٩ ] = ٤٠٥

$$٣٠ \times ١٩ = ٥٧٠ = ٤٠٥ + ١٦٥$$

العدد ( ٣٠ ) هو عمر يحيى عليه السلام ..

.. وهناك مقابلة ما بين الحالتين الأولى والثانية ، في مسألة الذكر والتسييح ..

المرحلة ( ١٩ )	المرحلة ( ٨ )
﴿ فَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾	﴿ وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعِشِيِّ ﴾
﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾	﴿ وَالْإِبْكَارِ ﴾

.. في كتاب الله تعالى .. كلمة ﴿ بِالْعِشِيِّ ﴾ [ ] وكذلك ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ [ ] دلالتها

تحمل - فيما تحمل - وجهاً مجرداً عن الزمن .. وهنا تُوضع مُقابل الإبكار ﴿ بِالْعِشِيِّ ﴾

﴿ وَالْإِبْكَارِ ﴾ ، وأيضاً في قوله تعالى ..

﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنُوبِكَ وَسَبِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [ غافر : ٥٥ ]

.. وتُوضع أيضاً مُقابل العُدّة ولكن متأخره عنها ﴿ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ ..

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدُوَّةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [ الأنعام : ٥٢ ]

.. وتُوضع مُقابل الإِشراق ومتقدّمة عليه ﴿ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ ..

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [ ص : ١٨ ]

.. وتأتي وحدها دون مقابلة مع غيرها ﴿ بِالْعِشِيِّ ﴾ ..

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِيَادُ ﴾ [ ص : ٣١ ]

.. وهذه الكلمة ﴿ بِالْعِشِيِّ ﴾ ، يختلف تعلقها الدلالي عن كلمة ﴿ الْعِشَاءُ ﴾ ..

﴿ وَجَاءَ وَأَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ [ يوسف : ١٦ ]

﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴾ [النور: ٥٨]

.. كلمة ﴿ بِالْعِشِيِّ ﴾ لا تخرج دلالاتها عن المعنى الذي يحمله جذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه ، ودلالات هذا الجذر اللغوي تدلُّ على ظلامٍ وقلةٍ وضوحٍ في الشيء الذي تتعلّق به ، وتتعلّق دلالاتها في سياقها النصّي ، بالساحة التي يرسمها سياق النصّ ، فإن كانت الساحة ماديّة ارتسمت الدلالات في ساحة عالم المادّة ، وإن كانت الساحة معنويّة ( غير ماديّة ) ارتسمت دلالاتها في ساحة النفس والفكر ..  
 .. ومن الأمثلة على الارتسام غير الماديّ لمشتقّ من مشتقات الجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه هذه الكلمة ، هو كلمة ﴿ يَعِشُ ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]

فكلمة ﴿ يَعِشُ ﴾ في هذه الآية الكريمة تعني قلةً وضوحٍ وظلاماً فكرياً وابتعاداً عن نور الهداية وسبيل الحق ..

.. وكلمة ﴿ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [ ] وكذلك ﴿ بُكْرَةً ﴾ [ ] ، نراها هنا ترد مقابلة لكلمة

﴿ بِالْعِشِيِّ ﴾ [ ] وكذلك ﴿ وَعِشِيًّا ﴾ [ ] ..

.. ومشتقات الجذر ( ب ، ك ، ر ) تعني إقبال الشيء ..

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر: ٣٨]

.. ومن أنشأهنَّ الله تعالى لأصحاب اليمين يتّصفن بصفة ﴿ أَبْكَارًا ﴾ ..

﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾

﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٥﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٤٠]

.. وصفة ﴿ أَبْكَارًا ﴾ في هذا النصِّ الكريم لا علاقة لها بالجنس والأنوثة أبداً ، فمن جهة لا تُوجَد في الآخرة أصلاً أعضاءً جنسيّةً كتلك التي في الدنيا ، ومن جهةٍ أُخرى فإنَّ ﴿ أَحْسَبُ الْيَمِينِ ﴾ ليسوا ذكوراً فقط ، فهم ذكور وإناث .. وقد بيّنت ذلك في كتاب : قصّة الوجود ..

.. من هنا نرى أنّ الكلمتين ﴿ تَبَيَّتْ وَأَبْكَارًا ﴾ تعنيان الحركة بوجهيهما ، ذهاباً ومجيئاً ، إدباراً وإقبالاً ، غياباً وحضوراً .. بمعنى أنّ الصفات السابقة ﴿ مُسَائِلَتْ مُؤَمِّنَاتٍ قَدِيَّتْ تَبَيَّتْ عِيدَاتٍ سَدِيْحَاتٍ ﴾ المحمولة في الجمل السابقة مباشرة ، يتمتّعن بها في كلّ حرّكاهنّ ، سواءً في غيابهنّ أم في حضورهنّ ، سواءً في إدبارهنّ أم في إقبالهنّ ، سواءً في ذهابنّ أم في مجيئهنّ .. وقد بيّنت ذلك في بحث : براءة النبي ..  
.. إذاً .. في المقابلة بين الحالتين الأولى والثانية ..

المرحلة ( ١٩ )	المرحلة ( ٨ )
﴿ فَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمَحْرَابِ ﴾	﴿ وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعِشِيِّ ﴾
﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾	﴿ وَالْإِبْكَارِ ﴾

.. يمكن حمل : ﴿ بِالْعِشِيِّ ﴾ على حالات قلّة وضوح الرؤية بالنسبة للنفس وابتعادها - النسبي - عن سبيل النور ، ليكون : ﴿ وَالْإِبْكَارِ ﴾ هو مقابل ذلك من إقبال النفس على النور .. وهذا المعنى محتمل ، تحمله هاتان الكلمتان من خلال تعلّق دلالتهما بجذريهما اللغويين ..

.. ويمكن حمل : ﴿ بِالْعِشِيِّ ﴾ على وقت العشاء والليل ، ليكون : ﴿ وَالْإِبْكَارِ ﴾ هو مقابل ذلك من بداية وقت النهار ..

.. ومن الطبيعي أنّه في الحالة الأولى ( حالة الدعاء ) الأقرب إلى الجانب المعنوي ،  
وحيث التوجّه الأوّل لزكريا إلى الله تعالى ، وفي حالة الصلاة في المحراب ، وبعد حصوله

على الآية التي طلبها من الله تعالى ، أن يتلقّى الأمر : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ

بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ ..

.. في الحالة الأولى نرى أمراً من الله تعالى لزكريا بذكر ربّه كثيراً : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ

كَثِيرًا ﴾ ، وذلك عقب جعل آية له ، بناء على طلبه .. فهو لا يستطيع أن يكلم الناس

: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴾ ، كآية من ربّه جلّ وعلا ، متعلّقة ببشرى لأمرٍ

طلبه هو ، وهذا ممّا يستدعي ذكراً كثيراً لربّه جلّ وعلا ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا ﴾ ..

.. وما نراه أنّه في الحالة الأولى ، وفي مسألة التسييح التي أمر بها ، فُدم ﴿ بِالْعَشِيِّ ﴾

على ﴿ وَالْإِبْكَرِ ﴾ .. فباعتبار الجانب المادّي من دلالات هاتين الكلمتين ، وكون

الحالة الأولى كانت في النهار ، حيث تلقّى زكريّا عليه السلام هذه الكلمات ، فإنّ الفترة

المحمولة ﴿ بِالْعَشِيِّ ﴾ هي الآتية أوّلاً بالنسبة له في هذه الحالة ( النهار ) ، تتبعها بعد ذلك

الفترة ﴿ وَالْإِبْكَرِ ﴾ ..

.. وباعتبار العمق المعنوي لكلمتي : ﴿ بِالْعَشِيِّ ﴾ ، ﴿ وَالْإِبْكَرِ ﴾ .. فإنّ نبياً

كزكريا عليه السلام ، يسبّح الله تعالى في حالات هبوط وضوح الرؤية بالنسبة للنفس

وابتعادها - النسبي - عن سبيل النور ، قبل تسييحه لربّه جلّ وعلا في حالات وضوح

رؤية النفس وقربها من سبيل النور .. فما يقع على عاتق النبيّ أكبر بكثير ممّا يقع على عاتق

غيره ، وتسييح الله تعالى له تعلّقه بمستوى النبوة الذي يملأ نفوس الأنبياء ..

.. وهذان الطرفان المتقابلان ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ ، ﴿وَالْإِبْكَرِ﴾ ، نراهما يردان بصيغة التعريف بأل التعريف ، لتشمل نهايتي هذين الوجهين المتقابلين ، خصوصاً في جانبيهما المعنوي ، وخصوصاً بكونهما مجرورين بياء الوسطة والوسيلة ، كون الأمر من الله تعالى لنبئيه في الحالة الأولى التي كما رأينا أقرب إلى الجانب المعنوي .. فمقابلة ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ ب ﴿وَالْإِبْكَرِ﴾ بهذه الصيغة ، وردت - إضافة لهذا النص - مرةً أخرى في كتاب الله تعالى ، كأمر يشمل رأس سَلَمِ النبوة مُحَمَّدٌ ﷺ ومن بعده كلِّ مخاطب بهذا النص ..

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ [ غافر : ٥٥ ]

.. وفي الحالة الثانية ، وبعد خضوع زكريا للآية التي جعلته لا يستطيع الكلام ، خرج على قومه من المحراب ، وبالرمز الذي ينضح الكلام من الداخل ، أوحى إليهم : ﴿فُجِرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ..

.. ما نراه في الحالة الثانية ، حيث زكريا عليه السلام يأمر قومه ، بعد خروجه من المحراب مجعولاً بأية لا يكلم فيها الناس ، أنه تمّ تقديم ﴿بُكْرَةً﴾ على ﴿وَعَشِيًّا﴾ ، في مسألة التسييح .. وباعتبار الجانب المادّي من دلالات هاتين الكلمتين ، وكون الحالة الثانية كانت في الليل ، فإنّ الفترة المحمولة ﴿بُكْرَةً﴾ هي الآتية أولاً بالنسبة له في هذه الحالة ( الليل ) ، تتبعها بعد ذلك الفترة ﴿وَعَشِيًّا﴾ ..

.. وباعتبار العمق المعنوي لكلمتي : [[ ﴿بُكْرَةً﴾ ، ، ﴿وَعَشِيًّا﴾ ] ] ، فإنّ القوم الذين بالتأكيد هم دون مستوى النبوة ، يكون تسييحهم في حالات وضوح رؤية النفس

## ﴿ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ﴿ ٤١ ﴾

وقربها من سبيل النور أكثر من تسيبهم في حالات هبوط وضوح الرؤية بالنسبة للنفس وابتعادها عن سبيل النور .. ولذلك .. نرى تقديم ﴿ بَكْرَةٌ ﴾ على ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ ..  
 .. وما بين الأمر الإلهي لزكريا بأن يَسِّحْ بالعشيِّ والإبكار ، وإيحائه لقومة بأن يَسِّحُوا بكرة وعشيًّا ، مسألة كاملة ..

﴿ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [ آل عمران : ٤١ ] = ١٣٤

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [ مريم : ١١ ] = ١٨٩

$$١٧ \times ١٩ = ٣٢٣ = ١٨٩ + ١٣٤$$

.. وكون الحالة الثانية تمَّ فيها استرسال زكريا عن صفات الغلام ( يحيى ) الذي طلبه ، وكون الحمل به - كما رأينا - كان قبل حمل مريم بعيسى عليه السلام ، وكون قصَّة مريم في سورة مريم ( الحاملة للحالة الثانية من قصَّة زكريا ويحيى ) تبدأ بمرحلة حمل عيسى .. كلُّ ذلك يتعلَّق بحكمة ورود النصِّ الوحيد في كتاب الله تعالى (( الذي يتكلَّم عن ولادة يحيى عليه السلام والمستقل عن القصَّة المشتركة بين يحيى وزكريا )) خلف الحالة الثانية ، وقبل قصَّة حمل مريم بعيسى ..

﴿ ..... فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾  
 يَذَكِّرُ فِي الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ ﴿١٢﴾ وَأَعْتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٣﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴿١٤﴾ وَزَكَاةً  
 وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٥﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٦﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ  
 يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٧﴾  
 ﴿١٨﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ  
 دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٢٠﴾ [ مريم : ١١ - ١٧ ]

.. الخطاب المباشر : ﴿ يَبْيِغِي ﴾ ، يؤكد ولادة يحيى عليه السلام ، وتلقيه لهذا الخطاب .. وهنا .. هل هذا الخطاب كان فور ولادته ؟ .. أم كان بعد بلوغه مرحلة يستطيع بها إدراك معنى الخطاب مقارنة ببلوغ البشر هذه المرحلة ، وخصوصاً أن قصة مريم تبدأ بالعبارة : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ التي تقتضي عدم حتمية سياق الترتيب الزمني ، كما بينا ؟ ..

.. كلمة ﴿ يَحْيَى ﴾ ، أصلها صيغة فعلية لفعل مضارع ، للغائب ، وقد وردت بهذه الصيغة في كتاب الله تعالى ثلاث مرّات ، أتت فيها مقابلة للهلاك والموت ..

﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [ الأنفال : ٤٢ ]

﴿ إِنَّهُرْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُرْ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُرْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [ طه : ٧٤ ]

﴿ الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٣﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [ الأعلى : ١٢ - ١٣ ]

.. وما نراه أن رسمها مطابق تماماً لرسم اسم ﴿ يَحْيَى ﴾ عليه السلام ، أي بالألف المقصورة ..

.. بينما في مرّتي ورودها ﴿ يَحْيَا ﴾ ، حيث ترد وصفاً للحياة من زاوية ما يراه البشر الكافرون ، نراها بالألف المدودة ..

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [ المؤمنون : ٣٧ ]

﴿ وَقَالُوا ..... نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [ الجاثية : ٢٤ ]

.. وبصيغة الماضي ﴿ أَحْيَا ﴾ نراها بالألف المدودة ..

﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [ البقرة : ١٦٤ ]

﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [ المائدة : ٣٢ ]

﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [ النحل : ٦٥ ]

﴿ ..... مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾ [ العنكبوت : ٦٣ ]

﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [ الجاثية : ٥ ]

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴾ [ النجم : ٤٤ ]

.. فاسم ﴿ يَحْيَىٰ ﴾ عليه السلام هو في أصله صيغة فعلية مضارعة ، للغائب .. حتى برسم الكلمة وصيغتها نرى هذا الاسم مطابقاً تماماً للصيغة المضارعة للغائب .. وهذا الاسم يحمل معنى المضارعة مع الحياة التي هي نقيض الموت ..  
.. والعبارة ﴿ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ ، تحمل معنى الأمر بتناول المنهج بجدٍّ وصبرٍ عبر ملكةٍ عالية ، بوعيه وإبلاغه ..

.. والعبارة : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ، تعني وآتيناه الفهم والفقه والعقل السليم والقدرة على الحكم السليم تجاه الآخرين ، وكلُّ ذلك محمولاً بصفة النبوة ، تفاعلاً مع الكتاب .. وقد تمَّ ذلك وهو صبي .. فكلمة ﴿ صَبِيًّا ﴾ نراها حالاً له في إتيانه الحكم ..  
.. والعبارة ﴿ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ﴾ ، نرى فيها ﴿ وَحَنَانًا ﴾ تُحْمَلُ على أوجه .. إما أن تكون مفعولاً به باعتبارها معطوفة على ﴿ الْحُكْمَ ﴾ ، بمعنى : وآتيناه ( ليحيى ) حناناً ( مودّة ورحمة ورقّة وقرباً ) من لدننا .. وإما وآتيناه ( ليحيى ) الحكم حناناً ( رحمةً ومودّة وقرباً ) من لدننا .. وإما أن يتعلّق الحنان بزكريا ، بمعنى : وأعطينا زكريا الولد حناناً من لدننا ، كاستجابة لطلبه .. وإما أن يكون الحنان متعلّقاً بقوم زكريا ويحيى عليهما السلام ، فوجود يحيى فيهم هو رحمة لهم وقرب من الله تعالى ..

.. و ﴿ وَزَكَاةً ﴾ ، معطوفة على ﴿ وَحَنَانًا ﴾ .. وهي تحمل على معاني عديدة تتعلق بطهارته هو ، وبأبويه ، وبقومه ..

.. والعبارة القرآنية ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ ، عطف على ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ ﴾ .. وتعني : أنه بكيونته تقي ..

العبارة ﴿ وَرَبًّا بَوَالِدَيْهِ ﴾ ، نرى فيها كلمة ﴿ وَرَبًّا ﴾ معطوفة على كلمة ﴿ تَقِيًّا ﴾ .. والعبارة ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ ، تنفي عنه كل ما يعلّقه بصفة التجبر والعصيان .. فلين الجاب ، والتواضع ، كانا صفتين ملازميتين له .... وبورود صيغة : ﴿ عَصِيًّا ﴾ نرى كامل البلاغة في نفي العصيان عنه ..

.. والعبارة ﴿ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ ﴾ ، بمعنى : عدم الخضوع للإيذاء ، مما يُعطي الأمان .. فالواو في كلمة ﴿ وَسَلَّمٌ ﴾ استثنائية ، وسلام كنكرة جاز الابتداء بها كونها متضمنة معنى الدعاء ..

.. والعبارة ﴿ يَوْمَ وُلِدَ ﴾ ، نرى فيها كلمة ﴿ وُلِدَ ﴾ بصيغة الماضي ، وهذا أمر واضح سواء كان معيار القياس عصر يجي بعد ميلاده وقبل موته ، أم كان معيار القياس نزول القرآن الكريم ، حيث كان مولوداً أيضاً ..

.. لكن .. في العبارة القرآنية المعطوفة عليها : ﴿ وَيَوْمَ يَمُوتُ ﴾ ، نرى أنه من الواضح ورود كلمة : ﴿ يَمُوتُ ﴾ بصيغة المضارع ، وهذا في حال اعتبار معيار القياس هو عصر يجي بعد ميلاده وقبل موته .. لكن .. لو اعتبرنا معيار القياس هو نزول القرآن الكريم ، فما الحكمة من ورود كلمة : ﴿ يَمُوتُ ﴾ بصيغة المضارع ؟ ... وهل لهذا تعلق بحيثيات اسمه : ﴿ يَحْيَى ﴾ ، كصيغة تجمع ما بين الفعل المضارع والاسم في مسألة الحياة ؟ ..

.. والعبارة الأخيرة ﴿ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ، واضح فيها ورود كلمة ﴿ يُبْعَثُ ﴾ بصيغة المضارع ، كونه لم يُبعث بعد ، سواء باعتبار معيار القياس عصر يحيى بعد ميلاده وقبل موته ، أم باعتبار معيار نزول القرآن الكريم ، ففي الحالتين بعثه أمرٌ مستقبلي ..

.. وهذه الآية الكريمة ﴿ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ، نرى

في قصة عيسى عليه السلام آية مشابهة لها ، هي : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [ مريم : ٣٣ ] ..

.. في حين أن الله تعالى يخبرنا عن يحيى عليه السلام بأنه : ﴿ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ

وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .. فإن الله تعالى يخبرنا أن عيسى عليه السلام يقول عن

نفسه : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .. وفي حين أن

كلمة : ﴿ وَسَلَّمْ ﴾ فيما يتعلق بيحيى نكرة ، نراها حينما تتعلق بعيسى معرفةً بال التعريف : ﴿ وَالسَّلَامُ ﴾ ..

وفي حين يقول الله تعالى عن يحيى بأنه : ﴿ وَرَبًّا بَوْلِدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ ،

يقول عيسى عن نفسه : ﴿ وَرَبًّا بَوْلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ ..

.. فمن الطبيعي أن يتعلق البرُّ بوالدي يحيى : ﴿ وَرَبًّا بَوْلِدِيهِ ﴾ كونه ولد من والدين ،

ومن الطبيعي أن يتعلق البرُّ بمريم وحدها كونها ولدته دون والد : ﴿ وَرَبًّا بَوْلِدَتِي ﴾ ..

.. والله تعالى الذي يصف يحيى ، يقول عنه : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ ، فيحيى

عليه السلام في كينونته ليس جَبَّارًا عَصِيًّا ، فالتجبر والعصيان ليسا من كينونته ،

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَمِيٍّ ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٤٦

فالواصف لهذه الكينونة ﴿يَكُنْ﴾ هو الخالق جلّ وعلا ، والعصيان يكون بعمل الإنسان ، فيحيى بكينونته عمله لا يحمل العصيان ..

.. بينما عيسى الذي يتحدث عن نفسه : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ، نرى أنّه

يستخدم صيغة الجعل : ﴿يَجْعَلْنِي﴾ ، وذلك كون الشقاء هو نتيجة عمل الإنسان ، فعمل الإنسان يجعله في ساحة السعادة أو الشقاء ، وكون الله تعالى لم يجعل عيسى شقيًّا ، هو نتيجة كون عمل عيسى بكينونته لا يحمل ما يؤدّي إلى الشقاء ..

.. ونرى أنّه بينهما تشابه في نقاطٍ عدّة ... منها أنّ كلاهما لم يتزوَّج ..

.. وولادة كلٍّ منهما مخالفة للناموس الذي اعتاد عليه البشر .. ففي حين كانت ولادة

يحيى معجزة ، كونها كانت من أب بلغ من الكبر عتياً ومن أمّ كبيرة وعافر .. كانت ولادة عيسى أكثر إعجازاً ، كونها من دون أب ..

.. وفي حين حصل يحيى على مقام النبوة ( كإشارة مستنبطة من إتيانه الحكم ) وهو

صبي : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [ مريم : ١٢ ] .. فإنّ عيسى عليه السلام حصل على

هذا المقام ( جعلاً ) منذ ولادته : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي

الْأَرْحَامِ صَبِيًّا﴾ [ مريم : ٢٩ - ٣٠ ]

.. وكلاهما سماه الله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [ آل عمران : ٤٥ ]

﴿يَتَزَكَّرِيًّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [ مريم : ٧ ]

.. وكنا قد رأينا في النظرية السادسة سلّم الخلاص أنّ الاسم : ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ﴾ هو الاسم الآخر لعيسى عليه السلام والذي يشارك فيه في رسم مراحل الرسالات

## ﴿ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٤٧

السماويّة ، ورأينا أنّ كلمة : ﴿ أَسْمُهُ ﴾ متبوعة باسم نبي كتسمية من الله تعالى لم ترد إلاّ للأسماء : المسيح عيسى ابن مريم ، يحيى ، أحمد ..

﴿ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [ آل عمران : ٤٥ ] = ١٤٢

﴿ أَسْمُهُ يَحْيَى ﴾ [ مريم : ٧ ] = ٥٨

﴿ أَسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [ الصف : ٦ ] = ٦٦

$$١٤٢ \times ١٩ = ٢٦٦ = ٦٦ + ٥٨ + ١٤٢$$

.. وفي حين وصف الله تعالى يحيى ب : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا

وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [ آل عمران : ٣٩ ] .. وصف عيسى ب : ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [ آل عمران : ٤٥ ] ، وأيضا ب : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [ النساء :

١٧١ ] ..

.. ما رأيناه من دلائل كامنة في أعماق هذه النصوص الكريمة ، المصوّرة لقصة زكريا

ويحيى عليهما السلام ، ليس أكثر ممّا يغرفه رأس الإبره من البحر ، وهذا شأن جميع نصوص كتاب الله تعالى ، كلمنا أبحرنا في أعماقها نستخرج من الدرر الكامنة فيها على قدر عمق إبحارنا فيها ..

.. وكون قصة زكريا ويحيى عليهما السلام متداخلة مع قصة مريم عليها السلام ،

سنقف سريعا عند قصة مريم عليها السلام ..

.. ما نراه أنّه - كسرِدِ قصصيّ - هناك ثلاث حالات تُصوّر قصّتها في كتاب الله

تعالى .. حالتان منها في سورة مريم ، تفصلهما عن بعضهما الحالة الأولى من قصة زكريا

ويحيى عليهما السلام ، كما رأينا ..

**في سورة آل عمران**

- ١ - ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
- ٢ - ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأُبَيَّتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾
- ٣ - ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾
- ٤ - ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾
- ٥ - ﴿ قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

.. بعد هذه الحالة ( الحالة الأولى من قصة مريم ) ، تأتي - في ذات السياق - الحالة

الأولى من قصة زكريا ويحيى عليهما السلام ..

- ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ ... قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾

.. بعد الحالة الأولى من قصة زكريا ويحيى عليه السلام تأتي الحالة الثانية لقصة مريم ..

- ٦ - ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ يَمْرُؤُا أَقْبِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾
- ٧ - ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفَلَمْهُمْ آيُهُمْ

يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾
٨ - ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٥٦﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
٩ - ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾
١٠ - ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٥٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

.. والحالة الثالثة بالنسبة لقصة مريم عليها السلام ، هي في سورة مريم ، حيث تبدأ بمرحلة حملها لعيسى عليه السلام ..

<b>في سورة مريم</b>
١١ - ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ﴿٦١﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾
١٢ - ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾
١٣ - ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿٦٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لِكَ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾
١٤ - ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾
١٥ - ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ ﴿٦٣﴾ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ﴿٦٤﴾

وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿

١٦ - ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَأَنْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ ..... فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ ﴿

.. في موضوع الكفالة .. نرى أنه في الحالة الأولى وقعت مريم في كفالة زكريا عليه السلام كونه أقرب الناس إليها ... وبعد تكليم الملائكة لها ، بإصطفائها ، وتطهيرها واصطفائها على نساء العالمين ، تم الاختصاص فيمن يكفلها ، كلُّ يريد كفالتها ..

المرحلة ( ٧ )	المرحلة ( ٣ )
﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ﴿	﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ﴿

.. وفي الحالة الثانية .. نرى أن الملائكة قد خاطبت مريم مرتين ، بينهما الاختصاص في كفالتها ..

المرحلة ( ٨ )	المرحلة ( ٦ )
﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٩﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿	﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ ﴿

## ﴿ زَكَرِيَّا وَحَيِّي ﴾ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ( ٥١ )

.. وفي الخطاب الثاني من الحالة الثانية ، نرى البشرى من الله تعالى ( حيث تنقلها الملائكة ) يعيسى عليه السلام .. وهذه البشرى جاء موعد تنفيذها في المرحلة الثالثة ، ولكن عبر خطاب مباشر من جبريل عليه السلام ..

المرحلة ( ١٣ )	المرحلة ( ٨ )
﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾	﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٥١﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

.. وكنا قد وقفنا عند كون الاسم ﴿ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ هو الاسم الذي سمَّاه الله تعالى لعيسى عليه السلام قبل أن يُولد .. وفي بشرى الملائكة لمريم يعيسى عليهما السلام ، والمنقولة من الله تعالى ، نرى ذكراً لأربعة أوصاف ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٥١﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ..

.. ونرى أن مريم عليها السلام ، بعد تبشيرها بعيسى في الحالة الثانية ، وبعد قول جبريل لها بأنه رسول ربها ليهب لها عيسى .. في الحاليتين .. استفسرت عن الكيفية ..

المرحلة ( ١٤ )	المرحلة ( ٩ )
﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا وَلَمْ أَكُ بِغِيًّا ﴾	﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا ﴾

.. في الحالة الثانية حيث تلقت مريم البشرى من الله تعالى عن طريق الملائكة ، أتجهت إلى الله تعالى الذي منه أصل البشرى ، ولكن عبر صيغة الربوبية ﴿ قَالَتْ رَبِّ ﴾ ،

فما توذُ الاستفسار عن كَيْفِيَّتِهِ هو أمرٌ يتعلَّقُ بجانب الأسباب ، أي بجانب الربوبية ... وفي استفسارها في الحالة الثالثة لم تذكر كلمة ﴿ رَبِّ ﴾ ، كونها تستفسر من رسول ربِّها مباشرة ، وهو جبريل عليه السلام ..

.. وفي بشرى الملائكة لمريم .. ترد صفات عيسى عليه السلام ، إضافة إلى ذكر اسمه :

﴿ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ، وبالتالي فكونه ولداً لها ، هو أمرٌ واضح ، من هنا نرى

ذكر كلمة : ﴿ وَوَلَدٌ ﴾ في استفسارها .. بينما في قول جبريل لمريم عليهما السلام نرى

ذكر كلمة ﴿ غُلَامًا ﴾ .. من هنا نرى أن إيجابتها تحتوي على هذه الكلمة : ﴿ غُلَامٌ ﴾ :

﴿ قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ ..

.. وفي استفسارها عن كَيْفِيَّةِ ولادتها دون أن يمسَّها بشر ، نراها في الحالة الثالثة ،

وأمام جبريل عليه السلام ، حيث استحقاق تنفيذ البشري ، تُضيف - على استفسارها

الأوَّل - العبارة ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ .. فالصدمة عند تنفيذ استحقاق هذه البشري جعل

الاستفسار عن الكَيْفِيَّةِ أعمق منه في الحالة السابقة ..

.. إنجابُ الغُلامِ لا يكونُ إلا من خلالِ لقاءِ الذَكَرِ مع الأُنثى ، وهذا اللقاءُ إمَّا أن

يكونُ شرعيًّا بعدَ عقدِ نكاحِ شرعيٍّ ، وهو المسُّ ، وهذا ما لم يحصل مع مريمَ عليها

السلام ، ولذلك قالت : ﴿ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾ ، وإمَّا أن يكونَ اللقاءُ بينَ الذَكَرِ

والأُنثى دونَ عقدِ نكاحِ شرعيٍّ ، وهو البِغَاءُ ، وهذا أيضاً لم يكنْ ليحصلَ أبداً مع مريمَ

عليها السلام ، ولذلك قالت : ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ ..

﴿ زَكَرِيَّا وَحَبِيْبٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..... المهندس عدنان الرفاعي ٥٣ ﴾

.. واللقاء الشرعيُّ ليس عملاً شيطانيًّا ، وبالتالي فقولها : ﴿ وَكَمْ أَكْبَغِيًّا ﴾ ، هو

الذي يتعلَّق بقولِ أمِّها : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [ آل

عمران : ٣٦ ] .. ولذلك تتكامل هاتان العبارتان في معيار معجزة إحدى الكبر ..

﴿ وَكَمْ أَكْبَغِيًّا ﴾ = ٦٥

﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ = ٢٣٩

$$١٦ \times ١٩ = ٣٠٤ = ٢٣٩ + ٦٥$$

.. وفي الردِّ على استفسارها ما بين هاتين الحالتين ، نرى فارقاً يعود لحثيَّات كلِّ حالةٍ

منهما ..

المرحلة ( ١٥ )	المرحلة ( ١٠ )
<p>﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾</p>	<p>﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۗ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ۗ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾</p>

.. في الحالة التي في سورة آل عمران ، رأينا أنَّ البشري تلقَّتها مريم عليها السلام من

الملائكة ، لكن في الردِّ على استفسارها نرى صيغة المفرد : ﴿ قَالَ ﴾ ، فالردُّ جاء لها من

ملكٍ واحد .. وفي الردِّ على استفسارها في سورة مريم ، نرى أيضاً كلمة : ﴿ قَالَ ﴾ التي

تعود إلى جبريل عليه السلام ..

.. وفي الحالة التي في سورة آل عمران نرى صيغة الإلهية ﴿ اللَّهُ ﴾ ، فالأمر هنا في

حالة البشري ، والأمر عامٌ يتعلَّق في تبيان طلاقة القدرة الإلهية : ﴿ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا

قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ **إِسْرَائِيلَ** .. ونرى أنَّ العبارات : ﴿ **وَيُعَلِّمُهُ** **الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ** ﴾ **وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ، تحمل أوصافاً للمولود المبشَّر به ..

.. بينما في ردِّ جبريل عليه السلام على استفسار مريم ، نرى صيغة الربوبية ﴿ **رَبُّكَ** ﴾ وذلك كونه رسول ربِّها إليها ، وكون مسألة الإنجاب من متعلقات الربوبية .. ونرى العبارة : ﴿ **هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ﴾ تبين سهولة الأمر بالنسبة لله تعالى وتحمل إجابة مختزلة ومتعلقة مباشرة بصلب موضوع خلق عيسى عليه السلام دون آية خلق باقي البشر .. والعبارتان : ﴿ **وَلَنَجْعَلَنَّهَا آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا** ﴾ تبينان أهم الأهداف من خلق عيسى عليه السلام بهذه الآلية المختلفة ، وبأنه رحمة من الله تعالى .. والعبارة : ﴿ **وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾ تبين أنَّ الأمر قد انتهى ، حيث حكم الله تعالى به ..

.. هذا مرور سريع جداً على حالات قصة مريم عليها السلام في كتاب الله تعالى .. وكما قلنا .. تناولنا هذه القصة - بهذا المرور السريع - كونها متداخلة - كما رأينا - مع قصة زكريا ويحيى عليهما السلام ..